بدر شاكر السياب

شناشيل ابنة الچلبي

منشورات دار الطليعة - بيروت



بدر شاكر السيّاب

شناشيل ابنة الجلبي

منشورات دار الطليعة - بيروت

شناشيل ابنة الجلبي

الطبعـــة الأولى
كانون الثاني ، ١٩٦٥

شناشيل ابنة الجلبي[1]

وأذكرُ من شتاء القريةِ النضّاحِ فيه النورُ
من خَلَل السّحاب كأنّه النّغَمُ
تسرّبَ من ثقوب المعزف – ارتعشتْ له الظُّلَمُ
وقد غنّى – صباحاً قبلَ ... فيم أعدُّ ؟ طفلاً كنتُ أبتسمُ
للَيْلي أو نهاري أثقلتْ أغصانَه النشوى عيونُ الحورْ .
وكنّا – جدّنا الهدّار يضحك أو يغنّي في ظلال الجوْسق القَصَبِ
وفلاّحيه ينتظرون : « غيثَك يا إلهُ » وإخْوَتي في غابة اللَّعِبِ
يصيدون الأرانبَ والفَراش ، و(أحمدَ) النّاطور –
نحدّقُ في ظلال الجوْسق السمراء في النّهْرِ
ونرفع للسّحاب عيوننا : سيسيل بالقَطْر .
وأرعدتِ السماءُ فرنّ قاعُ النّهْر وارتعشتْ ذُرى السَّعَفِ
وأشعلهنّ ومْضُ البرق أزرقَ ثمّ أخضرَ ثمّ تنطفىءُ

ونشّحت السماءُ لغيْثِها المدرار باباً بعد بابِ

عاد منه النهر يضحك وهو ممتلىءُ

تكلِّـله الفقائعُ ، عاد أخضرَ ، عاد أسمرَ ، غصّ بالأنغام واللَّهَفِ .

وتحت النَّخْل حيثُ تظلُّ تمطِرُ كلُّ ما سعْفَه

تراقصتِ الفقائعُ وهي تُفجَرُ — إنّه الرَّطَبُ

تساقطَ في يد العذراء (٢) وهي تهزُّ في لهفه

بجذع النخلةِ الفرعاء (تاجُ وليدكِ الأنوارُ لا الذَّهَبُ ،

سيصلب منه حُبُّ الآخرين ، سيُبرىءُ الأعمى

ويبعث من قرار القبْر ميتاً هدَّه التعَبُ

من السفرِ الطويل الى ظلام الموْت ، يكسو عظمَهُ اللَّحْما

ويُوقد قلبَهُ الثلجي فهو بحبِّه يثبُ !) .

* * *

وأبرقتِ السماءُ ... فلاح ، حيثْ تعرَّجَ النَّهَرُ ،
وطاف معلَّقاً من دون أُسٍّ يلثمُ الماءا
شناشيلُ ابنة الجلبيِّ نوَّر حوله الزَّهَرُ
(عقودٌ ندىً من اللّبلاب تسطع منه بيضاءا)
وآسيةُ الجميلة كحّلَ الأحداقَ منها الوجد والسَّهَرُ .

* * *

يا مطراً يا حلبي
عبِّرْ بنات الجلبي
يا مطراً يا شاشا
عبِّر بنات الباشا [٣]
يا مطراً من ذهبٍ .

* * *

تقطّعتِ الدروب ، مقص هذا الهاطلِ المدرارِ
قطَّعها وواراها ،
وطوّقتِ المعابرُ من جذوعِ النَّخْل في الأمطارْ
كغرقى من سفينةِ سندبادَ ، كقصّةٍ خضراء أرجاها وخلاّها
الى الغدِ (أحمدُ) الناطورُ وهو يديرُ في الغُرْفه
كؤوسَ الشايِ ، يلمس بندقيّتَه ويسعل ثم يعبر طرْفه الشُّرْفه
ويخترق الظلامَ .
وصاح « يا جدّي » أخي الثَّرْثارْ
« أنمكث في ظلام الجوْسق المبتلّ ننتظرُ ؟
متى يتوقّفُ المطرُ ؟ »

* *
*

وأرعدتِ السماء ، فطار منها ثمَّةَ انفجرا
شناشيلُ ابنة الجلبي
ثمّ تلوح في الأُفق
ذُرى قوس السحاب وحيث كان يُسارق النَّظرا
شناشيلُ الجميلةِ لا تصيبُ العينُ إلاّ حمرة الشَّفَقِ

* *
*

ثلاثون انقضت ، وكبرتُ كم حبٍ وكم وجدِ
توهَّج في فؤادي !
غيرَ أنِّي كلّما صفَقت يدا الرَّعْدِ
مددتُ الطَّرف أرقبُ ربَّما ائتلق الشناشيلُ
فأبصرتُ ابنةَ الجلبي مقبلةً الى وعدي !

ولم أرها . هواءٌ كلُّ أشواقي ، أباطيل!
ونبْتٌ دونما ثَمَرٍ ولا وَرْد !

لندن ٢٤ – ٢ – ١٩٦٣

---

١ – الشناشيل: شرفة مغلقة، مزينة بكثيرمن الخشب المزخرف والزجاج الملون، كان شائعاً في البصرة وبغداد قبل مائة سنة. والجلبي لقب هو عند المصريين «شلبي» وعند الأوربيين «ماركيز».
٢ – « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا » (سورة مريم ـ القرآن الكريم)
٣ ـ هكذا يغني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء : « مطر ، مطر ، حلبي . عبر بنات الجلبي » الخ ..

إرم ذات العماد

عند المسلمين أن « شداد ابن عاد » بنى جنة
لينافس بها جنة الله ، هو « أرم » . وحين أهلك
الله قوم عاد ، اختفت « أرم » وظلت تطوف ،
وهي مستورة ، في الأرض لا يراها إنسان الا مرة
في كل أربعين عاماً . وسعيد من انفتح له بابها .

من خَلَلِ الدُّخان من سيكاره ،
من خلل الدخانْ
من قَدَحِ الشاي وقد نشَّر ، وهو يلتوي ، إزارَه
ليحجبَ الزمان والمكان ،
حدثنا جدُّ أبي فقال : « يا صغارْ ،
مقامراً كنتُ معَ الزمان ؛
نقودي الأسماكُ ، لا الفضةُ والنُّضار ،

والورَق الشّباك والوِهار[1] .
وكنتُ ذات ليْله
كأنما السماء فيها َصدَأٌ وقار ،
أصيدُ في الرُّميْله
في خْورها العميق ، أسمعُ المحارْ
موسْوساً كأنّما يبوح للحصى وللقِفار
بموْطن اللؤْلؤة الفريده ،
فأرهفُ السَّمعَ لعلِّي أسمع الحوار .
وكان من ندى الخريف في الدجى برُوده
تدبُّ منها رعشةٌ في جسدي فأسحبُ الدِّثار .
وانفرجَ الغيمُ فلاحتْ نجمةٌ وحيده

---

١ — الوهار : أداة لصيد السمك تصنع من أغصان الشجر .

ذكرتُ منها نجمتي البعيده
تنام فوق سطْحها وتسمعُ الجرار
تنضحُ (يا وقْعَ حوافرٍ على الدروبْ
في عالمَ النُّعاس ، ذاك عنْترٌ يجوب
دجى الصَّحارى . إن حيَّ عبْلةَ المزار) .
فسرتُ والسَّماءُ وجهتي ، ولا دليلْ ،
أرقب نجمها الوحيد ، والشُّعاعْ
يخْفتُ أو يؤُجّ مانعاً ومانحاً ، وكالشِّراع
ترفع أو تحطُّه الرِّياحُ في الصِّراع .
أسرتُ ألف خطوةٍ ؟ أسرتُ ألفَ ميل ؟
لم أَدرِ إلا أنَّني أمالني السَّحَرْ
الى جدار قلعةٍ بيْضاءَ من حَجَرْ ،

كأنما الأقمارُ منذ ألْفِ ألف عامْ
كانت له الطِّلاءْ ،
كأنَّما النجومُ في المساءْ
سلْنَ عليْه ثمَّ فاض حوله الظَّلام .
وسرتُ حول سورها الطويلْ
أعدُّ بالخطى مداه (مثلَ سندُبادْ
يسيرُ حول بيْضة الرُّخِّ ولا يكاد
يعود حيث ابتدأ آ
حتَّى تغيب الشمس ، غشَّى نورَها سواد ،
حتَّى إذا ما رفع الطَّرْفَ رأى ... وما رأى؟)
حتَّى بلغتُ في الجدار موْضعَ العماد
تقوم فيه ، كالدُّجى ، بوّابةٌ رهيبه

غلّفها الحديدُ ، مدَّ حوْلَها نحيبه
أراه بالعيون لا تُحسُّه المسامعُ .
وقفتُ عندها أدقُّ .
يا صدىً أراجعُ
أنت من المقابر الغريبه ؟
أُحسُّ في الصدى
برودةَ الرَّدى ،
أشمُّ فيه عَفَنَ الزّمان والعوالِمِ العجيبه
من ارَمٍ وعاد .
وحين كلَّ ساعدي
وملّني الوقوفُ في الظلامْ
(كناسكٍ ، كعابدٍ

يرفضُه الإلهُ في معبده ، يظلُّ لا ينام
ولا يريدُ الماء والطعام ،
يصيحُ : « كن على الهوى مساعدي
يا رافعَ السَّماء، يا موزِّعَ الغمام »).
جلستُ عند بابها كسائلٍ ذليلْ
جلستُ أسمع الصدى ، كأنّه العويلْ ،
يلهثُ خلْفَ حائطٍ من حَجَرٍ ثقيلْ .
كأنَّ بين دقّةٍ ودقّةٍ يمرُّ ألف عام
وما أجاب العَدَمُ الخواءْ .
وحين أوشك الصباحُ يهمس الضياءْ
نعستُ ، نمتُ ... واستفقتُ : مرَّ ألفُ جيل !!
الشمسُ والفلاه

والغيْمُ والسماء
وكلّ ما أراه
هناكَ حيث كان سورُها ، المياه
تشعُّ في الخليجْ » .
وقال جدُّنا ولجَّ في النَّشيج :
« ولن أراها بعدُ ، إنّ عمريَ انقضى
وليس يُرجع الزمانُ ما مضى .
سوف أراها فيكمُ ، فأنتم الأريج
بعد ذبول زهرتي . فإن رأى أرمْ
واحدُكم فليطرقِ البابَ ولا ينمْ .
أَرَمْ ...
في خاطري من ذكرها أَلَمْ ،

(٢)

حُلْمُ صباي ضاعَ ... آهِ ضاع حين تمّ
وعمري انقضى » .

لندن ٢١ -- ٢ -- ٦٣

في الليل

الغُرْفةُ موصَدَةُ البابِ
والصمتُ عميقْ
وستائرُ شبّاكي مرخاةٌ .
رُبَّ طريق
يتنصَّتُ لي ، يترصَّدُ بي خلفَ الشبّاك . وأثوابي
كمفزّع بُستانٍ ، سودُ
أعطاها البابُ المرصود
نَفَساً ، ذرَّ بها حسّاً ، فتكادُ تفيق
من ذاك الموْت ، وتهمس بي ، والصَّمْتُ عميق ، :
« لم يبقَ صديق
ليزورك في الليل الكابي
والغرفةُ موصدةُ البابِ » .

ولبسْتُ ثيابيَ في الوهْمِ
وسريْتُ : ستلقاني أُمّي
في تلك المقبرةِ الثكلى ،
ستقول : « أتقْتحمُ اللّيْلا
من دون رفيق ؟
جوْعانُ ؟ أتاكلُ من زادي :
خرّوبِ المقبرة الصادي ؟
والماءُ ستنهلُه نهْلا
من صدر الأرض .
ألا ترمي
أثوابك ؟ والبسْ من كَفَني ،
لم يبْلَ على مرِّ الزّمنِ ؛

عزريلُ الحائكُ ، إذْ يبلى ،
يرفوه . تعال ونَمْ عندي :
أعددْتُ فراشاً في لَحْدي
لكَ يا أغلى من أشواقي
للشمس ، لأَمواهِ النَّهْرِ
كسلى تجري ،
لهُتاف الدِّيكِ إذا دوّى في الآفاقِ
في يوم الحشْرِ » .
سآخذُ دربي في الوَهْمِ
وأسير فتلقاني أمِّي .

لندن ٢٧ — ٢ — ١٩٦٣

في انتظار رسالة

وذكرتُها ، فبكيْتُ من ألَمي :
كالماء يصعدُ من قرار الأرض ، نزَّ إلى العيون دمي
وتحرّقت قطراتُه المتلاحقات لتستحيلَ الى دموعْ
يخنقْنَني فأصكُّ أسناني ، لتنقذفَ الضلوع
موْجاً تحطَّم فوقهنَّ وذابَ في العَدَمِ .

دخانٌ من القلب يصعدْ
ضبابٌ من الروح يصعد
دخانٌ ... ضبابْ
وأنتِ الخطافُ وراء البحار ، وأنت انتحاب
ونوْحٌ من القلب كالمدِّ يصعد
ودمعٌ تجمَّدْ

وغصّت به الآهُ في الحنْجُره .
ذكرتُك يا كلَّ روحي ويادفْءَ قلبي اْذ الليل يبرد
ويا روضةً تحت ضوء النجوم بقدّاحها مُزْهره .

وذكرتُ كلّتنا يهفُّ بها ويسبحُ في مداها
قَمَرٌ تحيَّرَ كالفراشةِ ، والنجومُ على النجوم
دندنَّ كالأجراس فيها ، كالزنابق إذْ تعومُ
على المياهِ ... وفضَّضَ القَمَرُ المياها
وكأنّ جسمك زورقُ الحبِّ المحمَّلُ بالطيوبْ
والدِّفْءِ ، والمجدافُ هَمْسٌ في المياه يرنُّ آها
فآهاً والنُّعاس يسيل منكِ على الجنوب
فينامُ فيه النَّخْلُ تلتمعُ السطوحُ بنوْمهنَّ الى الصباحْ .

أوالُ ، ما أحلاكِ ! نام النورُ فيكِ ونمتِ فيهِ ،
واللَّيْلُ ماءٌ ، والنُّباح
مثل الحصى ينداح فيه ، وأنتِ أوَّلُ وارديهِ .

هو الصَّيْفُ يلثمُ شطَّ العراقْ
بغيْماتهِ ذاب فيها القَمَرْ ،
وتوشِكُ تسبح بيضُ النجوم لولا برودةُ ماء النَّهَرْ
وهفَّ شراعٌ لأَضلاعه في الهواء اصطفاقْ ،
وغنَّى مغنٍّ وراء النّخيل
يغمغمُ : « يا ليلُ ، طال السَّهَرْ
وطال الفراق ! »
كأنَّ جميعَ قلوبِ العراق

تُنادي ، تريد انْهمارَ المَطَرْ .

وصعدتُ نحوكِ والنُّعاس رياحُ فاتراتٌ تحملُ الوَرَقا
تمسُّ شَعركِ والنهّودَ به ، تموتْ
حيناً وتلهثُ في النوافذِ من بيوت
لقاكِ في غُرفاتها ، وأشدُّ جسمكِ فار واحترقا .
إنّي أريدكِ ، أشتهيكِ أمسُّ ثغركِ في رساله
طال انتظاري وهي لا تأتي ، وتحترقُ الزوارقُ والتّخوت
في ضفّة العشّار تنفضُ ، وهي لاهثةٌ ، ظِلاله
علَّ الرِّياحَ حمَلنَ منكِ لها رساله .
لِمَ تبخلينَ عليَّ بالورقاتِ ، بالحِبْر القليل وسحبْةِ القَلَمِ الصَّموتْ ؟
إني أذوب هوىً ، أَموت
وأحنُّ منك الى رساله .

لندن ٩ – ٣ – ١٩٦٣

البابُ تقرعُه الرِّياح

البابُ ما قرعتْه غيرُ الرِّيح في اللَّيْل العميق ،
البابُ ما قرعتْه كفُّكِ .
أين كفُّك والطَّريق
نأٍ ؟ ـ بحارٌ بينْنا ، مُدُنٌ ، صحارى من ظلامْ
الريح تحمل لي صدى القُبُلات منها كالحريق
من نخْلةٍ يعدو إلى أُخرى ويُزهر في الغمام .

* *
*

الباب ما قرعتْه غير الرِّيح ...
آه لعلَّ روحاً في الرياحْ
هامت تمرُّ على المرافىء أو محطّات القطارْ
لتُسائلَ الغرباءَ عنّي ، عن غريبٍ أمسِ راح

يمشي على قدمين ، وهو اليوم يزحفُ في انكسار .
هي روح أُمّي هزّها الحبُّ العميقْ ،
حبُّ الأمومة فهي تبكي :
« آه يا ولدي البعيدَ عن الدِّيار !
ويلاه ! كيف تعود وحدَكَ ، لا دليلَ ولا رفيقْ ؟ »
أمّاه .. ليتك لم تغيبي خلف سورٍ من حجار
لا بابَ فيه لكي أدقَّ ولا نوافذَ في الجدار !
كيف انطلقْتِ على طريقٍ لا يعود السائرونْ
من ظلمةٍ صفراءَ فيه كأنَّها غَسَقُ البحار ؟
كيف انطلقْتِ بلا وداعٍ فالصِّغار يوَلْولون ،
يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون
ويُسائلونَ الليل عنكِ وهم لعَودِكِ في انتظار ؟

الباب تقرعه الرياح لعل روحاً منكِ زار
هذا الغريب !! هو ابنك السهران يُحرقه الحنينْ .
أمّاه ليتك ترجعينْ
شَبَحاً . وكيف أخافُ منه وما امّحتْ رغْمَ السنين
قَسَماتُ وجهِكِ من خيالي ؟
أين أنتِ ؟ أتسمعين
صَرَخاتِ قلبي وهو يذبحه الحنينُ إلى العراق ؟

* *

*

الباب تقرعه الرياح تهبُّ من أَبَد الفراق .

لندن ١٣ – ٣ – ٦٣

مِن ليالي السُّهاد

١ ـ ليلة في لندن

ك ينسلُّ نورٌ خائفٌ من فُرْجةِ البابِ
ى الظلماء في غُرْفه
سمعتُ هتافَه المجروحَ يعبر نحوي الشُّرْفه
يرفعَ من سماوة لندنَ اللّيْلَ المُطِلَّ بلوْنه الكابي
على الطُّرُقاتِ ترقدُ في دثار الثلج ملتفّه .
وأمسِ سمعتُ في ايرانَ صوت الدّيكِ في الفجْرِ ،
ومن أُفُقِ المنائر في الكويْتِ وزُرْقةِ البحْرِ
هابَ ، فرشَّ جفني بالنُّعاس (رنينُ أكوابِ
بماء البصرةِ الرّقْراق تُملأ ثم تسقيني) ،
نداءٌ راح ينثره المؤذِّنُ ..: أُطفِىءَ الفانوسُ ، رفّ ضياؤه رفّه
وبعثره الظلام .
وليلي الأوّاهُ في بيروت يُحييني

لأبصرَ فيه وجهَ الموت ، راح يُذيبُه نبعٌ من اللّهفه
تدفّقَ من فؤاد البُلبُل المسكوب بين غصون لَبْلاب
ليالٍ من عذابٍ ، من سقامٍ ، لستُ أنساها :
غريباً كنتُ حتّى حين أحلمُ ، لستُ في جيكور
ولا بغداد ، أمشي في صحارى قلبي المسعور
يُريد الماءَ فيها : « ماءُ ... أين الماء ؟ » وهي تُريه أفواها
على آفاقها الرّبداء ظمأى تشرب الدّيجور
فلا تروى . أأقضي العمرَ في صحراءَ ، في ليلٍ من العطشِ ؟
أُفتّشُ عن عيون الماء ، عن إشراقة الغبشِ ؟
كأعمى نال منه السُّكرُ صاح ، ورفرفتْ كفّاه بين مساند الماخور
ليبحثَ عن رفيقٍ : « أين جاري ؟ أين داري ؟ أين – أوّاها –
أميرتي التي كانت تناولني كؤوسَ النّور

فيبصرُ قلبي الدنيا ويلقاها ؟ »

كأنّ الصُّبْحَ أشرقَ في العراق ، وتعبر الرُّؤيا
بحاراً بي وتطوي ألف دربٍ في الدجى تاها :
تراجعَ عالَمٌ وأطلّ ثانٍ : عالَمٌ يحيا
على الأقمار تُولَدُ ثمّ تكمل ثم تندثرُ ،
وما لبس الجديدَ بغيْر يوم العيد ، يدّخرُ
ويجمع ثم ينفق ثم يضحك وهو يفتخر
بان الله يرزق حين يرزق ... هكذا الدنيا
شتاءٌ ثمّ صيْفٌ . ليس في جيْكورَ محتكِرُ
ولا فيها مصارفُ أو جرائدُ : « ليْلُ كوريّا
يُرى شَفَقاً من النيران » .

فالنيران فيها حين تستعرُ
تضيءُ لحى الشيوخ يحدِّثونَ ، وأعْيُنَ النِّسوه
تحدِّق في الطعامِ وترقب الأطفالَ في نشوه .
أعدْني يا إله الشَّرْق والصحراء والنخلْ
إلى أيّامي الحلوه ،
إلى داري ، إلى غيلانَ ألثمُه ، إلى أهلي !

لندن ٣ – ٢ – ١٩٦٣

٢ - ليلة في باريس

وذهبتِ فانْسحب الضياء ،
أحسستُ باللَّيْل الشتائيِّ الحزين ، وبالبكاءْ
ينثالُ كالشلاّل من أفقٍ تحطِّمه الغيومْ .
أحسستُ وخْزَ اللَّيْل في باريسَ ، واختنقَ الهواء
بالقَهْقهات من البغايا ... آه ! ترتعش النجوم
منها كبلّور الثريّات الملطَّخ بالدماء
في حانةٍ لُمدى السكارى في جوانبها انتضاء .
لم يبقَ منكْ سوى عبير
يبكي وغَيْرُ صدى الوداعِ : « إلى اللّقاء ! » .
وتركتِ لي شَفقاً من الزّهرات جمّعها إناء
كالأنجم الزرقاء والحمراء في أُفقٍ به حلم الصغيرْ ،
أرجعن لي عُمُرَ الطفولة : يا محاراً في غدير

تتقارعِ الأقداحُ فيه ، ترنُّ أجراسٌ كثارْ :
خوخٌ وأعنابٌ ورمّانٌ ... وتمتلىءُ الجرار
عند الغروب ؛ هو الخريف ونحن نَسْمر حول نار .
وكمستفيقٍ في العراءْ
من حُلْمه : هو شَهْرَ يار وتلمس الكفُّ الخواء
ذهبَ التُّرابِ ... ورنَّ في اللَّيْل النُّباحُ أو العواء ،
عانقتُ كفَّكِ باليدْين : « إلى اللِّقاء »
— « إلى اللقاء » !
وذهبتِ فانسحبَ الضياء .

لو صحَّ وعْدُكِ يا صديقه ،
لو صحَّ وعدك .. آهِ لانبعثتْ وفيقه

من قبرها ، ولعاد عمري في السنين إلى الوراء .
تأتين أنتِ إلى العراقِ ؟
أمدُّ من قلبي طريقه
فامشي عليه . كأنّما هبطتْ عليْه من السماء
عشتارِ فانفجر الربيعُ لها وبرعمتِ الغُصونْ :
توتٌ ودفلى والنخيل بطلْعه عبقَ الهواء ،
وهو الأصيل وتلك دجلةُ
والنواتيُّ الخفاف يردّدون :
« يا ليْتني نجْمُ الصباحْ
آهٍ لأسقطَ يا حبيبي ، إذْ تنام ، على الغطاء ،
أعتلُّ بالبرد : ارتجفتُ فلفَّني ، برَد الهواء ! »
وهو الأصيل وأنتِ في جيكورَ تجتذب الرياحْ

منك العباءة ، فاخلعيها ...

ليس يدثّر الضياء !

يتماوج البَلَمُ[1] النخيلُ بنا ، فتَتَنَثرُ النجوم

من رفّة المجداف كالأسماك تغطس أو تعوم ،

ويحار بين الضفّتيْن بنا كأنّا منه في أَبد الزمانْ :

زمن ولا ماضٍ يعود له ، ولا غدَ كي يسير

إليه . تنطفىءُ النجومُ ونحن نحن العاشقان .

وذهبتِ فانسحب الضياء ،

لم يبق منك سوى عبير

يبكي وغير صدى الوداع : « إلى اللقاء ! »

وتركتِ لي شفقاً من الزهرات جمّعها إناء ...

باريس ١٨ — ٣ — ٦٣

---

١ ـ البلم : زورق البصرة ذو الشكل الشبيه ، إلى حد ما ، بجندول (البندقية) .

٣ـ ليلة في العراق

وَتُلهبَ كلَّ ألواحِ الزجاجِ الزُّرْقِ في الظلماءْ
فنوّرَ غرفتي ، إيماضُ برْقٍ ثمَّ رشَّ مدارجَ الأُفُقِ
نثارٌ من حُطامِ الرَّعْدِ فارتعشتْ له الأصداء .
وحفَّ ، على الدجى ، غابٌ من الأمطارِ والأزهارِ والوَرَقِ ،
وكنتُ أصيحُ من أرقي
ومن مرضي : « أريدُ الماء ! »
وتخنق صوتيَ الظمآنَ وهْوَهَةُ الدجى والماء .
ويُعْولُ من بعيدٍ بوقُ سيّاره
يجيءُ اليَّ عبْرَ الماءِ في الحاره ،
يجيءُ اليَّ من أعماقِ بحرٍ شمسه الخضراء
تنثُّ على شراعِ السندبادِ أزاهرَ الشَّفَقِ .
وكنتُ أصيحُ من أرقي

ومن مرضي : « أريد الماء ! » .

كأنّي وسط هذا الكونْ حيث يسوطني العَطَش

نواةٌ حولْها ارتجفَ العصيرُ الحلْوُ في ثَمَره

ويُحرقها صداها .

وانتظرتُ : سيغسل الغَبَشْ

صداي ، يُحيلني شجَره

تمصُّ الماءَ ، يقرع في مداها النُّسْغُ !

* *

*

وألقى البَرْقُ ، أرقصَ ، ظلَّ نافذتي على الغرفه

فذكّرني بماضٍ من حياتي كلُّه ألَمُ :

طفولتي الشقيّةِ ، والصبى ، وشبابي المفجوع تضطرمُ

مشاعري البريئة فيه : كيف يجوع آلافٌ من الأطفال ملتفّه
بآلاف الخروق تعربد الريح الشتائيّه
... وأظلُّ أحلمُ بالهوى ، والشطِّ والقَمَرِ ؟
وتزحم كلَّ دربٍ من دروبي هذه الخُوَذُ الحديديّه
وتتبعني عيون الموت من زُمَرِ البنادق نزَّ بالشرَرِ
كواها ... في دروب الجوع ألهث زائغَ النظر .
وإذ يتمرّد الإنسانُ فيَّ على العبوديّه
أثور على الشيوعيّه .
ولكنَّ البنادقَ ما تزال عيونُها الغضبى
تطاردني لأني غَيْرَ ربّي وحده ، لم أتّخذ ربّا .

* *

*

وحين تنفست عند انحسار اللّيل عشتار
تنفّض جرح تمّوز المدمّى ، تغسل التّرْبا
عن الجنبات منه ، وحين هدّ البغْيَ ثوّار ،
أرحتُ جبينيَ المحمومْ
على شبّاك داري أرقب الدّربا
تدفّق بالحبال وبالعصيّ يشدّها العار
لتسحبَ أو تمزّقَ جسْم طفلٍ ثغره المحروم
من القبلات والغنْوات والزادِ
ينادي دون صوتٍ :
« آه يا أمّي ! عرفتُ الجوع والآلام والرُّعْبا
ولم أعرف من الدنيا سوى أيّام أعياد
فتحتُ العين فيها من رقادي لم أجد ثوْبا

جديداً أو نقوداً لامعاتٍ تملأ الجيْبا
لأنّ أبي فقيراً كان » .
يا لكِ ثورةً تتأكّلُ القلبا
فتصرخ . « أيُّها الجبناء كفّوا ! »
ثم تزحم دربي الخوذ الحديديّه
وتخنقُ من فم التنّور في داري
فألهث في دروب الجوع أطحن من حصاها ثم أعجنه
وأقذفه إلى النارِ
لأطعمَ منه زُغْباً يطلبون الزّاد في قرّ العشيّات الشتائيه .

* *

*

ويمضي بالأسى عامان ، ثمَّ يهدُّني الدّاءُ . . .

تلاقفني الأسرّةُ بين مستشفى ومستشفى
ويعلكني الحديد .
ومن دمي ملأ الأطبّاء
قنانيَ ، وزّعوني في القناني : تصبغ الصّيفا
دمائي والشتاء .
وذات صُبْحٍ قيل إن الشرَّ قد دُحرا
ودكّ معاقلَ الطّاغوت في بغدادَ أبطالُ
فقلتُ : سأوقدُ القمرا
سراجاً عند بابي . إنّه ظَفَري ! أما قالوا
بأنّ الشرَّ قد دُحرا ؟

* *
*

وعدتُ الى بلادي . يا لنقّالات إسعافٍ
حملن جنازتي !! متمدداً فيها أئنُّ رأيتُ (غيلانا)
يحدّق ، بانتظاري ، في السّماء وغيْمها السّافي .
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النّذير بأنّ أعواماً من الحرمان والفاقه
ترصدُ بي هنا ، في غابة الخوذِ الحديديّه

* *

*

غريقٌ في عباب الموْج تنحبُ عنده الغاقه [1]
تئنُّ الريح في سَعَف النخيل ، عليه .. ترثيه .

---

١ ـ الغاقة : النورس ، طائر بحري .

قصائده الحزينة بين أوراقٍ من الدفلى أو الصفصاف تبكيه !

البصرة ٨ - ٤ - ١٩٦٣

خلا البيت

خلا البيْتُ ، لا خفقةٌ من نعالْ
ولا كرْكراتٌ على السُّلَّمِ ،
وأنّتْ على الباب ريحُ الشمال
وماتت على كرمه المظلم :
تلاشت خُطى موكب الدّافنينْ
ومن مسجد القريةِ المعْتم
تهوّى ، كما رفّ فوق السفين
شراعٌ حزين ،
أذانٌ (هو الله باقٍ ، وزال
عن الارض إلاّه) : الله أكبرْ ؛
وفي قبره اهتزَّ ، كالبرعم
إذا الصُّبْح نوَّر ،

دفينٌ ... وأصغى : أنينُ الرمال
وتهويدةُ النَّخْل ينعِّس واللَّيْلُ أقمر .
وفي بيْته الآن - خلٌّ العويلْ
ونوْحَ اليتامى وندْبَ النِّساءْ -
لقد فتَّح الآن زهْرُ الشتاء
ليمـلأ تنُـوره بالشذى والضياء ،
أنار وجوهاً وأخفى وجوهاً ، فسال الأصيل
ينثُ سنابله الدافئه ،
وسمراء تُصغي إلى الشاي فوق الصَّلاء
يوسْوس عن خيْمةٍ في العراء
وعن عيشةٍ هانئه .

*

خلا البيْـت وانسلّ لونُ المغيب
ى المخدع المقفرِ ؛
هنا كان يطوي خيوطَ الدروب
صغيران تطفىءُ شمس الغروب
بشعريهما نار فانوسها الأحمر ؛
ذا ما ارتختْ تحت ظلٍّ الهجيرْ
جفونٌ يرنّقُ فيها النعاسْ
فاءا الى قصّـةٍ عن أمير
تخطّـفَـه الجنُّ حتّـى أتى منزلاً من نُحاس
تلامحَ شبّـاكه عن أميره
تدلّي اليه الضفيره
ليرقى إليها .

خلا البيْت إلاّ أنينٌ يابقا
يصعِّدها شاطىءٌ من حنين .

البصرة ٢٦ — ٧ — ١٩٦٤

جيكور وأشجار المدينة

أشجارُها دائمةُ الخُضْره
كأنّها أعمدةٌ من رخامْ
لا عُرْي يعروها ولا صفره ،
وليْلُها لا ينام
يُطلع من أقداحه فجره .

لكنّ في جيْكور
للصَّيْف ألواناً كما للشتاءْ ،
وتغرب الشمسُ كأنَّ السماء
حقلٌ يمصّ الماء ،
أزهاره السكرى غناء الطيور .
ناحلةٌ كالصدى

أنغامه البلـور ،
كأنَّ فيها مُدى
يجرْحنَ قلبي فيستـنْزفْنَ منه النور .
وتغرب الشمسُ وهذا المساء
أمطر في جيكور ...
أَمطر ظلاًّ ، نثّ صمتاً ـ مساء
غافٍ على جيكور .

واللَّيْـلُ في جيكور
تهمس فيه النجومْ
أنغامها ، تولد فيه الزهور
وتَخفقُ الأَجنحه

في أعين الأَطفال ، في عالمٍ للنَّوْم ـ مرّت غيوم
بالدرب مبيضّاً بنور القمرْ ،
تكاد أن تمسحه ،
تسرق منه الزَّهَرْ ...

البصرة ٢٢ – ٤ – ١٩٦٣

ها.. ها.. هوه

تنامين أنت الآن والليلُ مُقمرُ
أغانيه أنسامٌ وراعيه مِزهر ،
وفي عالم الاحلام ، من كلِّ دَوحةٍ
تلقّاكِ مَعْبَرُ
وبابٌ غفا بين الشجيْرات أخضرُ .
لقد أثمر الصمتُ (الذي كان يُثمر
مع الصُّبح بالبوقات أو نوْح بائع) ،
بتينٍ من الذكرى وكرْمٍ يقطَّر
على كلِّ شارع
فيحسو ويسكر
برفقٍ فلا يهذي ولا يتنمَّرُ .

*

ـ ـيتُ الذي لو صدق الحُـلْم نَفْـسَـهُ
ـ لكِ الفما
وطوّق خصراً منك واحتاز معصما ؟
ـد كنتِ شمسَـهُ
وشاء احتراقاً فيك ، فالقلب يُصهر
فيبدو، على خدّيكِ والثّـغْـرِ ، أحمر
وفي لَهَـفٍ يحسو ويحسو فيسكرُ .

*

لقد سئم الشِّـعرَ الذي كان يكتبُ
كما ملّ أعماقَ السماء المذنّبُ
فأدمى وأدمعا :

حروب وطوفان ، بيوتٌ تُدَمَّرُ
وما كان فيها من حياةٍ تصدَّعا .
لقد سئم الشِّعرَ الذي ليس يذكرُ
فأغلقَ للأوزان باباً وراءه
ولاح له بابٌ من الآسِ أخضر
أراد دخولاً منه في عالم الكرى
ليصطاد حلماً بين عينيْك يخطر
وهيهات يقدر !

* *
*

من النَّفْس ، من ظلمائها ، راح ينبعُ
وينثال نَهْرٌ سال فانحلَّ مئزر

منَ النُّـورِ عن وَضّاءَ تخبو وتظهر .
وفي الضفّـة الأُخرى تحسّـين صوْته
فما كان يُسمَـعُ)
كما يشعر الأعمى إذِ النور يظهر ،
يناديكِ :
« ها .. ها .. هوه »
ماءٌ ويقطر
من السَّعْـفة النَّشْوى
بما شربتْ من غيْـمةٍ نثُّـها نجوى
وأصداء أقدامٍ إلى الله تعـبُر .

*　*
*

وناديتِ : « ها .. ها .. هوه » لم ينشرِ الصدى
جناحيْه أو يبْكِ الهواء المُثرثرُ .
ونادى وردّدا :
« ها .. ها .. هوه ! »
وفتّحْتِ جفناً وهو ما زال ينظر ،
ينادي ويجأر .

لندن ٢٩ — ٢ — ١٩٦٣

أحبّيني ..!

وما من عادتي نكرانُ ماضيَّ الذي كانا ،
ولكنْ .. كلُّ من أحببْتُ قبلك ما أحبّوني
ولا عطفوا عليَّ ، عشقتُ سبعاً كنّ أحيانا
ترفُّ شعورهنّ عليَّ ، تحملني إلى الصينِ
سفائنُ من عطورِ نهودهنّ ، أغوص في بحْرٍ من الأوهام والوْجدِ
لألتقط المحار أظنُّ فيه الدُرَّ ، ثم تظلُّني وحدي
جدائلُ نخلةٍ فرعاءْ
وأبحث بين أكوام المحار ، لعلَّ لؤلؤةً ستبزغ منه كالنَّجْمه ،
وإذ تدمى يداي وتُنْزع الأظفار عنها ، لا ينزُّ هناك غيْرُ الماء
وغير الطين من صَدَفِ المحار ، فتقطر البسمه
على ثغري دموعاً من قرار القلب تنبثقُ ،
لأنَّ جميع من أحببْتُ قبلك ما أحبّوني .

وأجلسهنَّ في شُرَفِ الخيال .. وتكشف الحُرَق
ظلالاً عن ملامحهنّ : آهِ فتلك باعتْني بأفونِ
لأجل المال ، ثم صحا فطلّقها وخلاّها .
وتلك .. لأنَّها في العمر أكبرُ أم لأنَّ الحُسْنَ أغراها
بأنّي غير كفءٍ ، خلّفتْني كلّما شرب الندى ورَقُ
وفتّح برعمُ مشتَلِها وشممتُ ريّاها ؟
وأمسِ رأيْتُها في موقفٍ للباص تنتظرُ
فباعدتُ الخُطى ونأيتُ عنها ، لا أريد القربَ منها ،

هذه الشمطاء

لها الويْلات ؟ ثم عرفتُها : أحسبْتِ أن الحُسْنَ ينتصرُ
على زمن تحطّم سور بابلَ منه ، والعنقاء
رمادٌ منه لا يُذكيه بعث فهو يستعر ؟

وتلك كأنَّ في غمّازتيْها يفْتح السَّحَرُ
عيونَ الفُلِّ واللَّبْلاب ، عافتْني الى قصر وسيّاره ،
الى زوج تغيَّر منه حالٌ ، فهو في الحاره
فقير يقرأ الصحفَ القديمةَ عند باب الدار في استحياء ،
يحدّثُها عن الأمس الذي ولَّى فيأكل قلبَها الضَّجَرُ .
وتلك وزوجُها عبْدا مظاهرَ ليْلُها سَهَرُ
وخمرٌ أو قمارٌ ثم يوصدُ صُبْحَها الإغفاء
عن النَّهر المكركر للشراع يرفّ تحت الشمس والأنداء .
وتلك ؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها ،
شربتُ الشِّعر من أحداقها ونعستُ في أفياء
تنشِّرُها قصائدُها عليّ : فكلُّ ماضيها
وكلُّ شبابها كان انتظاراً لي على شطٍّ يهوِّم فوقه القَمَر

وتنعس في حِماه الطَّيْرُ رشّ نُعاسَها المطرُ
فنبّهها فطارت تملأ الآفاقَ بالأصداءِ ناعسةً
تؤجُّ النّور مرتعشاً قوادمُها ، وتخفقُ في خوافيها
ظلالُ الليل . أين أصيلُنا الصيفيُّ في جيكورْ ؟
وسار بنا يوسْوس زورقٌ في مائه البلّور ؟
وأقرأ وهي تُصغي والربى والنَّخْل والأعناب تحلم في دواليها ؟
تفرّقت الدروب بنا نسير لغيْر ما رَجْعَه ،
وغيَّبها ظلامُ السجن تؤنس ليْلَها شمعه
فتذكرني وتبكي . غير أني لستُ أبكيها .
كفرت بأمّة الصحراء
ووحي الأنبياء على ثراها في مغاور مكّةٍ أو عند واديها .
وآخرُهنَّ ??

آهٍ .. زوجتي ، قدَري . أكان الداء

يُشعدني كأني ميِّتٌ سكران لولاها ؟

وهأنا ... كلُّ من أحببتُ قبلك ما أحبّوني .

ونتِ ؟ لعلّه الإشفاق !!

لستُ لأعذرَ اللهَ

ذا ما كان عطفٌ منه ، لا الحبٌّ ، الذي خلاّه يسقيني

كؤوساً من نعيمٍ .

آهِ ، هاتي الحبَّ ، روِّيني

به ، نامي على صدري ، أنيميني

على نهديك ، أوّاها

من الحُرَق التي رضعتْ فؤادي ثُمّةَ افترستْ شراييني .

أحبّيني

لأني كلُّ من أحببتُ قبلك لم يحبّوني.

باريس ١٩ - ٣ - ١٩٦٣

يقولون تحيا...

لأحببْتُ لو أنَّ في القلب بُقيا
ـ وقد لفّه اللَّيْلُ ـ للمشرقِ ،
يقولون « ما زلت تحيا » .. أيحيا
كسيحٌ إذا قام أعيا
به الداءُ فانهار ، لم تخفقِ
على الدَّرْب منه الخطى ؟ يا أساه
ويا بؤس عينيْه ممّا يراه ؟

* *
*

يقولون : « تحيا » فيبكي الفؤادْ
فلو لم يكن خافقاً لاستراح ؛
كطيْرٍ رميٍّ يجرُّ الجناح

وقد مد ، عبر الربى والوهاد ،
بعينيْـه : في دوْحةٍ خلف تلك الظّـلالْ
سجا عشُّـه ، فيه زغبٌ جياعْ
اذا حجّـب الغـْيمُ ضوءَ الهلال
يقولون « هذا جناح أبِينا وقد عاد بعد الصراع
بزْهره ،
بقطره
من الطلِّ » .. حتّـى يُطلَّ الصباح .
كطـيْرٍ رميٍ يجرُّ الجناح ،
أقضِّـي نهاري بغير الأحاديث ، غير المنى ،
وإن عسـْعـَسَ اللَّـيْـلُ نادى صدىً في الرياح :
« أبي .. يا أبي » طاف بي وانثنى ،

« أبي .. يا أبي »
و يُجهش في قاع قلبي نُواح :
« أبي .. يا أبي » .
« أبي .. يا أبي » في صفير القطارْ
« أبي .. يا أبي » في صياح الصِّغار
(خفاف الُخطى يعبرون الدروب
بلا غايةٍ ، يقطفون الثِّمار
ولا يُطعمون ابنةً جائعه .
ولي منزل في سهول الجنوب
إذا كنتُ أسعى ، من السابعه
إلى أوْبة الطـيْر عند الغروب ،
فكي أُطعمَ الجائعينْ

وراء نوافذه شاخصين
في الدرب : « أين الأبُ المُطعمُ »)
« أبي .. يا أبي » والدُّجى مظلمُ
وجيكور خلف الدجى والدروب وخلف البحار .

لندن ٢٣ - ٢ - ١٩٦٣

وَغَداً سَأُلقَاهَا

وغداً سألقاها ،
سأشدُّها شدّاً فتهمس بي
« رحماك » ثمْ تقول عيناها :
« مزّق نهوديَ ، ضمَّ - أوّاها -
ردفيَّ ... واطوِ برعشة اللَّهَبِ
ظهري ، كأنّ جزيرةَ العربِ
تسري عليه بطيب ريّاها » .

ويموج تحت يدي ويرتجفُ
بين التمنُّع والرضا ردِفُ ،
وتشبُّ عند مفارق الشَّعْرِ
نارٌ تدغْدغُها : هو السَّعَفُ

من قريتي رعشتْ لدى النَّهْر
خوصاتُه ، وتلين لا تدري
أيّان تنقذف .
ويهيم ثغري وهو منخطفُ ،
أعمى تلمَّس دربه ، يقف
ويجسُّ : نهداها
يتراعشان ، جوانب الظَّهْرِ
تصطكُّ ، سوف تبلُّ بالقطْرِ ،
سأذوب فيها حين ألقاها !

لندن ٢٧ - ٢ - ١٩٦٣

ليلةُ وداع

(إلى زوجتي الوفيّة)

أوْصدي الباب ، فدنيا لستِ فيها
ليس تستأهل من عينيّ نظره .
سوف تمضين وأبقى .. أي حسره ؟
أتمنّى لك ألاّ تعرفيها ؟
آهِ لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دمِ
ميِّتَ الساقيْن محموم الجبينْ
تأكل الظلماءَ عينْاي ويحسوها فمي
تائهاً في واحةٍ خلف جدارٍ من سنين
وأنين
مستطار اللبِّ بين الأنجم .

* *
*

في غدٍ تمضين صفراء اليدِ
لا هوىً أو مغنمٌ ، نحو العراقِ
وتحسّين بأسلاك الفراقِ
شائكات حول سهْلٍ أجرد
مدّها ذاك المدى ، ذاك الخليج
والصحارى والروابي والحدود
أيُّ ريشٍ من دموع أو نشيج
سوف يُعطينا جناحيْن نرود
بهما أُفْق الدجى أو قبّة الصبح البهيج للتلاقي ؟
كلُّ ما يربط فيما بيْننا محْض حُنينٍ واشتياقِ
ربّما خالطه بعضُ النفاق !
آهِ لو كنتِ ، كما كنتُ ، صريحه

لنفضْنا من قرار القلب ما يحشو جروحه
ربّما أبصرت بعض الحقْد ، بعض السأم
خصلةً من شعر أخرى أو بقايا نَغَمِ
زرعتْها في حياتي شاعره
لست أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي .
انها ذكرى ولكنّك غيْرَى ثائره
من حياةٍ عشتها قبل لقانا
وهوىً قبْل هوانا .
أوْ صدى الباب . غداً تطويك عني طائره
غير حبٍّ سوف يبقى في دمانا .

الكويت ٢١ - ٨ - ١٩٦٤

أغنية بنات الجنّ

شعورنا بلّلها المطَرْ
وأشعلَ القمرْ
تيها فوانيسَ ، فيا قوافلَ الغَجَرْ
شعرنا اهتدي،
سيري إلى السَّحَرْ ،
سيري إلى الغدِ ؟

نحن بنات الجنّ لا ننامْ ،
نهيم في الظلام
على ذرى التلال أو نركضُ في المقابرِ ،
نعشق كلَّ عابرِ ،
نسمعه أغانيَ الشباب والغرامْ .
ان نزلتْ صبيّةٌ فيها من البشرْ

وأوحشتْها وحدةُ القبور او دجنّةُ الُحفَر
سرتْ أغانينا إليها تعبر التُّرابْ
تقول : « إنْ عريتِ فالثياب
تنسجها عناكبُ الشَّجَرْ
وكلُّ خيْطٍ من خيوطها يرنّ كالوتر .
نامي إلى ان يؤْذنَ القَدَر
ويُحشر الموْتى إلى الحساب .
حبيبك الوفيُّ مسَّ ثغرَه ابتسام،
فقد رأى سواكِ .
بل رآك في قوامها النديِّ كالزَّهَرْ
وهُدْبها ومقلتيْها . أشعلَ الهُيام
في عيْنه السَّهَرْ ،

رآكِ فيها فاشتهاكِ . ليته انتظر ؟ »

* *

*

نلوح للطِّفْل فراشاتٍ من الشُّعاعْ
تخفقُ في ذوائب الشجَرْ ،
ويلمحُ العاشقُ في عيوننا الوداع
اذْ يصفر القطار او يصفِّقُ الشِّراع .
ونحن للشاعر إن شعر
نلوح في الدُّخان والعقارْ ،
نُنشد : « فُلْكُ سندبادَ ضلَّ في البَحَرْ
حتّى أتى جزيرةً يهمس في شطآنها المحار ،
يهمس عن مليكةٍ يحبّها القمر

فلا يغيب عن سماء دارها النُّضار » .
فيهتف الشاعر : « خُذْني إلى حماها
لأنني اهواها
لأنني القمر ؟ »
وجُنّ وانتحر .

* *
*

شعورنا يبلّلها المطرْ ،
ويرشف القمر
منها إلى ان يُقبل السَّحَرْ .
نركض في المقابرِ
نُضلّ كلّ شاعر
وكلّ من عبر ؟

لندن ٢٦ – ٢ – ١٩٦٣

جيكور أمّي (1)

تك أمّي ، وإنْ أجئْها كسيحا
ثماً ازهارها والماء فيها ، والتُّرابا
ونفضاً ، بمقلتي ، اعشاشها والغابا :
تك أطيار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا
و ينشّرْنَ في بويْبَ (2) الجناحيْن : كزهْرٍ يفتّح الأفوافا .
ه هنا ، عند الضحى ، كان اللّقاءْ
وكانت الشمس على شفاهها تكسّر الأطيافا
وتنضح الضياء .
يف أمشي ، أجوب تلك الدروب الخُضْرَ فيها وأطرق الأبوابا ؟
ب الماء فتأتيني من الفخّار جرّه
نضح الظلَّ البرود الحُلْوَ ... قطره
ـد قطره .

تمتدُّ بالجرّة لي يدان تنشران حول رأسي الأطيابا :
(هالتي) تلك . ام (وفيقة) ام (إقبال) .

لم يبق لى سوى اسماء

من هوىً مرَّ كرعدٍ في سمائي
دون ماء .
كيف أمشي ! خطاي مزّقها الداء .. كأنّي عمود ملْحٍ يسيرُ ..
أهي عامورة الغويّة ام سادوم ؟
هيهات .. إنّها جيكورُ :
جنّةٌ كان الصِّبى فيها وضاعت حين ضاعا .
آه لو انّ السنين السود قَمْحٌ أو صخورُ
فوق ظهري حملتُهنَّ ، لألقيْتُ بحملي فنفضْتُ جيكورُ
عن شُجيراتها تراباً يغشّيها وعانقتُ معزفي ملتاعا ،

يُجهش الحبّ ، به ، لحناً فلحنا
ولقاءً فوداعا .
آه لو أن السنين الخُضْر عادت ، يوم كُنّا
لم نزل بعْدُ فتيّيْنِ لقبّلتُ ثلاثاً أو رُباعا
وجنتيْ (هالةَ) والشّعْر الذي نشّر أمواج الظلامِ
في سيولٍ من العطور التي تحمل نفسي إلى بحارٍ عميقه
ولقبّلتُ ، برغم الموت ، ثغراً من وفيقه
ولأوصلتُكِ يا (إقبال) في ليلة رعدٍ ورياح وقتامِ ،
حاملاً فانوسيَ الخفّاق تمتدّ الظلالْ
منه او تقصر ، إذْ يرعش في ذاك السكونْ ،
ذلك الصمتِ سوى قَعْقعة الرعد ،
سوى خفْق الخطى بين التِّلال

وحفيف الريح في ثوبكِ ، او وهوهة الليل مثى بين الغصون ،
ولعانقتك عند الباب ، ما أقسى الوداع !!
آهِ .. لكنَّ الصبى ولّى وضاع ؛
الصبى والزمانُ لن يرجعا بعد ،
فقرّي يا ذكريات ونامي .

لندن ٥ — ٢ — ١٩٦٣

---

١ - اذا كان ٣ (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) = ٣ فاعلاتن ٠ ٣ مستفعلن، ٣ فاعلاتن مثلا فأن الفرضية التي تقوم هذه القصيدة ، موسيقياً ، عليها صحيحة. أرجو أن تتاح الفرصة لتجربة هذه الفرضية على جهاز الأصوات الذي سبق للدكتور محمد مندور أن قام ببعض التجارب عليه في باريس . غير أني لم ألتزم بذلك الا في الأجزاء الاولى من القصيدة .

٢ - نهر في جيكور .

يا غُربَةَ الرُّوح

يا غربةَ الروح في دنيا من الحَجَرِ
والثلج والقار والفولاذ والضجرِ ،
يا غربة الروحِ .. لا شمْسٌ فأئتلقُ
فيها ولا أُفقُ
يطير فيه خيالي ساعةَ السَّحَرِ .
نارٌ تضيء اُلخواء البرْد ، تحترقُ
فيها المسافات ، تُدنيني ، بلا سَفَرِ ،
من نخْل جيكورَ أجني دانيَ الثَمَرِ .
نارٌ بلا سَمَرِ
إلاّ أحاديثَ من ماضيٍّ تندفقُ
كأنّهنّ حفيفٌ منه أخيلةٌ
في السَّمْع باقيةٌ تبكي بلا شَجَرِ .

يا غربةَ الروحِ في دنيا من الحجر !

* *

*

مسدودة كلُّ آفاقي بأبنيةٍ
سودٍ ، وكانت سمائي يلهث البَصَرُ
في شطِّها مثل طيرٍ هدَّه السَّفَرُ :
النهر والشَّفَقُ
يميلُ فيه شراعٌ يرجف الألَقُ
في خفقِهِ ، وهو يحنو ، كلّما ارتعشا ،
دنيا فوانيسَ في الشطّين تحترقُ ،
فراشةً بعد أخرى تنشر الغَبَشا
فوق الجناحين .. حتّى يلهث النّظَرُ .

* *

*

الحبُّ كان انخطافَ الروح ناجاها
روحٌ سواها ، له من لمسةٍ بيدِ
دخيرةً من كنوزٍ دونما عَدَدِ .
الحب ليس انسحاقاً في رحى الجَسَدِ
ولا عشاءً وخمراً من حُمّياها
تلتفُّ ساقٌ بساقٍ وهي خادرةٌ
تحت الموائد تُخفي نشوةَ البَشَرِ
عن نشوةِ الله من هَمْسٍ ومن سَمَرِ
في خيْمةِ القَمَرِ .
يا غربةَ الروح لا روحٌ فتهواها .

* *
*

لو لا الخيالات من ماضيَّ تنسربُ
كأنّها النوم مغسولاً به التَـعَـبُ
لم يترك الضجرُ
مني ابتساماً لزوْجٍ سوف ألقاها
ان عدتُ من غربة المنفى : هو السَّـحَـرُ
والحلم كالطلِّ مبتـلّاً به الزَّهَرُ
يمس جفنـيْن من نورٍ وينسكبُ
في الروح أفرحها حيناً وأشجاها .
تسـلَّلتْ طرقْتي للباب تقتربُ
من وَعْيها وهو يغفو ثم تنسحبُ ،
ونشَّـر الحُـلْمُ أستاراً فأخفاها .
ورفَّ جفناها

حتّى كأنَّ يدي
إذ تطرق الباب مسَّتْ منهما : « واها !
من دقّ بابي ؟ أهذا أنت يا كبدي ؟ »
وذاب في قبلتي ما خلَّفَ السَّهَرُ
في عينْها من نعاس ، فهي تزدهر
كوردةٍ فتّحت للفجْر عيناها .

لندن ٢٦ – ٢ – ١٩٦٣

أمُّ كلثوم والذكرى

وأشربُ صوتَها .. فيغوص من روحي إلى القاعِ
ويُشعل بين أضلاعي
غناءً من لسان النار ، يهتف « سوف أنساها
وأنسى نكبتي بجفائها وتذوب أوجاعي » .
وأشرب صوتها .. فكأنَّ ماء بُوَيْبَ يسقيني
وأسمع من وراء كرومه ورباه « ها .. ها .. ها »
تردِّدها الصبايا السُّمْرُ من حينٍ الى حين .
وأشربُ صوتها فكأنَّ زورقَ زفَّةٍ وأنينَ مزمارِ
تجاوبُه الدرابكُ ، يعبران الروح في شَفَقٍ من النار
يلوح عليه ظلٌّ وفيقةَ الفرعاء أسودَ يزفر الآها
سحائبَ من عطورٍ ، من لحونٍ دون أوتارٍ .
وأشرب صوتها .. فيظل يرسم في خيالي صفَّ أشجارِ

أغازل تحتها عذراءَ ، أوّاها
على أيّامي الخضراء بعثرها ووراها
زواجٌ . ليت لحن العُرْس كان غناء حفّارِ
وقرعاً للمعاولِ وهي تحفر قبريَ المركوم منه القاع بالطينِ .
وأذكرها ، وكيف (وجسْمُها أبقى على جسمي
عبيراً منه ، دفئاً غلّفَ الأضلاع) أنساها ؟
أأنساها ؟ أأنسى ضحكةً رعشتْ على لحمي
وأعصابي ، وكفّاً مسَّحتْ وجهي بريّاها ؟؟
قُساةٌ كلُّ من لاقيتُ : لا زوجٌ ولا ولَدُ
ولا خِلٌّ ولا أبَ أو أخٌ فيزيلَ من همّي . .
ولكنْ . . ما تبقّى بعدُ من عمريْ ؟ — وما الأَبَدُ . .
بعُمري —
أشهُرٌ ويريحُني موْتٌ فانساها.

لندن ٩ — ٣ — ١٩٦٣

كيفَ لَمْ أُحبَّكِ ؟

كيف ضيّعتُك في زحمة أيّامي الطويله ؟
لم أحلَّ الثوْبَ عن نهدَيْكِ في ليلة صيفٍ مُقْمره ؟ !
ـ يا عبير التّوت من طوْقيْهما .. مرّغتُ وجهي في خميله
من شذى العذراء في نهدَيك ـ
ضيَّعْتُك ، آهٍ يا جميله !

انه ذنبي الذي لن أغفره !
كيف لم أحبْبكِ ؟! يا لهفةَ ما بعد الأَوان
في فؤادٍ لم تكوني فيه إلاّ جذوةً في مجمره !
شَعرك الأشقر شعَّ اليوم شمْساً في جناني
يتراءى تحتها ساقاكِ ، يا للزنبقِ
رفَّ من ساقيْكِ !!
آهٍ كيف ضيّعتُك يا سرحةَ خوْخٍ مُزهره ؟

آهِ لو عندي بساط الريح !!

لو عندي الحصانُ الطائرُ !!

آهِ لو رجلاي كالامسِ تُطيقان المسيرا !

لطويتُ الأَرضَ بحثاً عنكِ .

لكنَّ الجُسورا

قطّعتْها بيْننا الأَقدار . مات الشاعرُ

فيّ وانسدّت كوى الأَحلام .

آهٍ يا جميله !

البصرة ٨ — ١١ — ٦٣

أسيرُ القراصنة

أجنحةٌ في دوحةٍ تخفقُ
أجنحةٌ أربعةٌ تخفق
وأنتَ لا حبٌّ ولا دارُ ،
يُسلمك المشرقُ
إلى مغيبٍ ماتت النارُ
في ظلِّه ... والدرب دوّارُ
أبوابه صامتةٌ تُغلَقُ !

جيْكور في عينيْك أنوار
خافتةٌ تهمسُ :
« مات الصبى ! »
لم تبق آثارُ

من فجره ، وانفرط المجلس ،
فالتلُّ لا ساقٍ ولا سامرٌ باقٍ وسمّارُ :
واراهُمُ في سفحه الموحش المهجور حفّار !

وتحسدُ الشحّاذ إن لاحا
يمشي على عكّازه البالي .
مشلولةٌ رجلاك مشدودةٌ عيناك بالآلِ
وألف دربٍ دونكَ انداحا
يدعوك أن تقطعه في الدجى
وتقطف الأثمار عن جانبيه
وأنت لا تملك غير الشَّجى
ودمعةٍ تجري اشتياقاً إليه .

عامان من نزعٍ بلا موْتِ
وأنت ما كنتَ سوى صوتِ ،
صوتٍ يدوّي في قلاع الرياحْ .
يا ليتك المشّاءُ في صمْتِ
لا عازف القيثار باسم الجراح ؟
وأنتَ في سفينة القرصانْ
عبْدٌ أسيرٌ دون أَصفادِ
تقبعُ في خوْفٍ وإخلادِ
تُصغي الى صوت الوغى والطّعان :
سال الدمُ ،
اندقّت رقابٌ ومال
ربّانُها العملاقْ

وقام ثانٍ بعده ثم زال
فامتدّت الأعناق
لأيّ قرصانٍ سيأتي سواه
وأي قرصانٍ ستعلو يداه
حيناً على الأيدي ! ؟

« ولْياتِ من بعدي ...
من بعديَ الطوفان »
تسمعُها تأتيك من بُعْد
يحملها الإعصار عَبْرَ الزّمان !

البصرة ٢٩ — ١٠ – ١٩٦٣

نسيم من القبر..

نسيمُ اللّيْل كالآهات من جيْكورَ ياتيني
فيبكيني
بما نفثَتْهُ أميّ فيه من وجدٍ وأشواقِ
تنفّسَ قبرُها المهجور عنها، قبرُها الباقي
على الأيّام يهمس بي: «ترابٌ في شراييني
ودودٌ حيث كان دمي، وأعراقي
هباءٌ من خيوطِ العنكبوت؛ وأدمعُ الموتى
اذا ادّكروا خطايا في ظلام الموت... ترويني.
مضى أبدٌ وما لمحتْك عيني!»
- ليت لي صوْتا
كنفْخ الصُّور يسمع وقْعَه الموتى. هو المرَضُ
تفكّك منه جسمي وانحنتْ ساقي

فما أمشي ، ولم أهجركِ . إني أعشق الموتا
لأنّك منه بعضٌ ؛ أنت ماضيَّ الذي يمضُ
اذا ما ارْبدّتِ الآفاق في يومي فيهديني !

* *
*

أما رنَّ الصدى في قبركِ المنهار ، من دهليز مستشفى ،
صدايِ ، أصيحُ من غيبوبةِ التخدير ، أنتفضُ
على ومْض المشارط حين سفّتْ من دمي سفّا
ومن لحمي ؟ أما رنّ الصدى في قبركِ المنهارْ ؟
وكم ناديتُ في أيّام سُهْدي أو لياليه :
« أيا أمّي ، تعالي فالمسي ساقيَّ واشفيني » .
يئنّ الثلج والغربان تنعب من طوىً فيهِ ،

وبين سريريَ المبتلِّ حتّى القاع بالأمطار
وقبرِكِ ، تهدرُ الأنهار
وتصطخب البحار الى القرار يخضُّها الاعصار .

* *

*

اما حملتْ إليك الريحُ عَبْرَ سكينةِ اللَّيْلِ
بكاء حفيدتيْكِ من الطوى وحفيدك الجوْعانْ ؟
لقد جعنا وفي صمتٍ حملنا الجوعَ والحرمان ،
ويهتك سرَّنا الأطفالُ ينتحبونَ من ويلِ .
أفي الوطن الذي آواكِ جوعٌ ؟ أيُّما أحزان
تؤرِّق أعين الأموات ؟
لا ظُلْمٌ ولا جُورُ

عيونهما زجاجٌ للنوافذ يخنقُ الألوان .
هناك لكل ميتٍ منزلٌ بالصّمْت مستورُ ،
ولكنّا هنا عصفتْ بنا الأقدارُ من ظلّ
الى ظلٍّ ومن شمسٍ الى شمس : يغيب النُّورْ
على شُرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثم يُشرق وهي أطلالُ
ويخفقُ حيث كركر أمسِ أطفالُ
صريرٌ للجنادب هامساتٍ : « إنّه المقدور
تصدّع بُرجُ بابل منه وانهدمت صخور السور ! »

* *

*

أما حملتْ إليكِ الريحُ عَبْرَ سكينةِ اللّيْلِ
بكاءَ حفيدتيْكِ من الطوى يعلو من السّهْلِ ؟

البصرة ١٨ — ٤ — ١٩٦٣

في المستشفى

كمستوْحدٍ أعزلٍ في الشتاءْ
وقد أوغل الليل في نصْفِـهِ ،
أفاق فأوْقظ عين الضياء
وقد خاف من حتفِـهِ ،
أفاق على ضربةٍ في الجدارْ –
هو الموتُ جاء !
وأصغى : أذاك انهيار الحجار
أم الموْت يحسو كؤوسَ الهواء ؟
لصوص يشقّـون دربًا إليْـه
مضوا ينقبون الجدار .
وظلَّ يعدُّ انهيار التُّـراب
ووقْعَ الفؤوس على مسمعيْـه .

يكاد يُحسُّ التماعَ الحِـراب
وحزّاتها فيه ... يا للعذاب !!
وما عنده غير محض انتظار :
هو الموت عَبْـرَ الجدار !

* *

*

كذاك انكفأْتُ أعضُّ الوسادْ
وأسلمتُ للمشرط القارسِ
قفاي المدَّمى بلا حارس .
– بغيْـرِ اختياري ، طبيبي أرادْ ! –
لقد قصَّ .. مدَّ المجسَّ الطويلْ ...
لقد جرّه الآن . أوَّاه .. عاد .

ولا شيءَ غيرُ انتظارٍ ثقيل .
ألا فاخرقوا ، يا لصوص ، الجدار
فهيهات ، هيهات ، مالي فرار !

لندن ٥ – ٢ – ٦٣

سلوى

ظلامُ الليل أوتارُ
يدنْدنُ صوتُكَ الوسنان فيها وهي ترتجف ،
يرجّع همْسَها السّعَفُ
وترتعش النجوم على صداه : يرنُّ قيثارُ
بأعماق السماء . ظلام هذا الليل أوتارُ !

*

وكم عبر الخليجَ إليَّ والأنهارَ والتُّرَعا ،
يدغْدغُ بيض أشرعةٍ يهيم وراءها القَمَرُ
وينشج بينها المطر ؛
وأوْغلَ في شعاب البرق ، يرجف كلّما لمعا
ليحملَ من قرارة قلبكِ الآلامَ والفَزَعا .

*

أشمُّ عبيرَكِ اللَّيْليَّ في نبراتك الكسْلى
يناديني ويدعوني
إلى نهدَيْن يرتعشان تحت يدي وقد حلاّ
عُرى الأزرار من ذاك القميص ، ويملأ اللَّيْلا
مشاعلَ في زوارق ، في عرائشَ ، في بساتينِ

*

شذى اللَّيْمون يصرع كلَّ ظلٍّ في دواليها .
أراكِ على السرير وأنت بين الليل والفجرِ :
يكاد النجم في الشبّاك والمصباحُ في الخِدْرِ
يمسُّها النعاس ، وأنت زنبقةٌ حواشيها
ينبِّهها هُتاف الدِّيكِ يعبر ضفّةَ النهرِ .

*

ويهمس بي صدى : « سلوى
تغنّي » . كلُّ سلوى في خيالي تكشف الأضواء عنها وهي تبتسم :
صديقةُ كلِّ فحلٍ من سَدومٍ ، في يدٍ قَلَمُ
يسطِّرُ في الجريدة أنّها تهوى ولا تهوى ،
هي امرأتانِ في امرأةٍ ... ويسرب في دمي ضَرَمُ

*

وجارتُنا الصبيّةُ في حرير النَّوْم تنسربُ ،
يشفُّ الثّوبُ عن نهدينِ طودَيْنِ كم رجفا
من الأحلام تحت يدٍ تُعصِّر بردُها لَهَبُ .
لها من فوْرة العذراء عطرٌ يرتخي ، يثبُ ،
يُمازجُ نفحَ ما نفحَ الحشيشُ ، يسيلُ مرتجفا .

*

وألمحُ في سماء الصيف عَبْرَ تماوجِ الشجَرِ
سماوةَ لندنَ المنهلَّ فيها الثلْج كالمطر ،
ونافذةً تعلَّقَ في الظلام زجاجُها الألِقُ ،
ومدفأةً وراء الليل تحترقُ ،
وأسمع من يحدِّث عن هوى سلوى ويرقبُ طلعةَ السَّحَرِ :

*

« وأشعلتِ الظهيرةُ نارها في الشارع الممتدِّ بين حدائق النارنْج والعِنَبِ
وأصدتْ في رحاب المنزل الخالي
خُطى سلوى ، وأُرخِيتْ الستائر ... يا لشلاّلِ
من الألوان والخَدَر البَرود .
ومسَّها لَهَبي

فارْعشَ كل عرْق في صِباها ، كلَّ ما عَصَبِ

* *

*

ويزرع ألْفَ غابٍ للنخيل غناؤكِ المكسالْ
ترقْرقتِ الجداولُ بينهنَّ وأزهرَ اللَّيْمونْ ...
وأنسامُ الربيع تمرُّ تنثر زَهْرَهُ في مائها السلْسال
كما حَمَلَ الوجوهَ اليَّ ماءُ غنائكِ المكسال
ويحملني النُّعاس الى جزائرَ فى مدىً محزون !

البصرة ٩ – ٩ – ١٩٦٣

متى نلتقي ؟

ألا يأكلُ الرعبُ منّا الضلوعْ
إذا ما نظرنا إلى ظلّ تينه ،
فلاحتْ لنا ، من ظلامٍ ، قلوع
تهدهدُها غمْغماتٌ حزينه ؟
ألا يأكل الرعبُ منا الضلوع ؟

ألا تتحجَّرُ منا العيونْ
إذا لاح في الليلِ ظلُّ البيوتْ
هزيلاً كما ينسجُ العنكبوت
ألا تتحجَّر منا العيون
ويلمع فيها بريقُ الجنون ؟

•

وبالأمس كنّا يُذيبُ العناقْ

دماً في دمٍ ،
كنورٍ ونارٍ ، سناً واحتراق
يجولان في منزلٍ مُظْلم

ولكنَّ مابيْننا كان بَحْرُ
تغنّيك أمواجُه العاتيه:
« سنرعاكِ من قلعةٍ شدَّ منها حديد وصخْرُ
فما الحب هدم لجدرانكِ العاليه » .
ولكنّ ما بيْننا كان بَحْرُ

وصحراء تنشجُ فيها النجومْ
ولا نلتقي في دجىً أو صباحْ ،

تموت على رملها عاصفاتُ الرياح
وتأكل عيْنَ الدليل التخوم
وصحراءُ تنشج فيها النجوم

وطارتْ بي الريحُ عبْرَ البحار
إلى الليل والثلج والمجهلِ ،
فصرنا إلى واقعٍ لا نحار
بألْغازه . فاسألي :

ـ وطارت بي الريحُ عبر البحار ـ
« أما من لقاءٍ لنا في الزمان ؟ »
بلى .. حينما تفهمين اللّقاء

فيأوي إلى اللَّـوْحةِ المُـغْرَقان
يشدّانها ، يرفعان الدعاء :
« ألا نجِّنا يا إلٓه السماء ! »

ألا يأكل الرعبُ منّـا الضلوع
إذا ما نظرنا إلى ظلِّ تينه
فلاحت لنا ، من ظلام ، قلوع
تهدهدها غمغماتٌ حزينه ؟
ألا يأكل الرعبُ منا الضلوع ؟

لندن ١٠ – ٣ – ١٩٦٣

فهرست